قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم

الدكتور شكري فيصل

تمضي « الآداب » نحو هذه الغايات التي تلمحها ، سواء في أدب القصة أو في أدب المقالة ، وسواء في هذا الشعر الغنائي او الدراسات العامة .. إن العدد الرابع مزيج متآلف من ذلك كله ، تعاورت صياغته هذه القصص المترجمة والمؤلفة ، قصص من واقعنا العربي ومن حياة الناس الانسانية في كل قطر ومصر .. وهذه المقالات والابحاث المختلفة حول موضوع أدبي او فكرة تاريخية .. وهذه الباقة الشعرية التي كانت تتوزع صفحاته في عبير حلو ونغم محبّب .. وتضامّت مع ذلك كله هذه الابواب المختلفة .. أبواب النشاط الثقافي في البلاد العربية والغربية ، والتعريف بالنتاج الجديد ، والاستفتاء حول نكسة الشعر .

والعدد بهذه المجموعات واسع الشمول ، ولكنه تخلّى عن جزء أضحى اساسياً في صميم ثقافتنا الأدبية أعني به هذه الحياة العلمية ، مقالاتها وانبائها ، في شيء من التبسيط الذي يحبب لهذا الجيل الناشيء ان يقبل على العلم ، فإن لم يقبل عليه دارساً له مستفيداً منه ، لم يقصر عن متابعته ولم يعش بعيداً في بيداء من الفكر ليس فيها إلا هذه الواحات المتناثرة هنا وهناك .

والواقع أنه ما من شيء آخر أحرى باهتمامنا في مجتمعنا العربي اليوم من هذه الثقافة العلمية .. وقد يبدو غريباً أن اقول ان هذا الواجب إنما يقع على الأدباء ، وان المجلة الأدبية — على الازمات التي تعانيها — هي وحدها التي تعيش في وسطنا القارىء ، وهي التي تحمل الى الجيل الجديد ثقافته وغذاءه ، وهي التي تحبب اليه هذا الاتجاه او ذاك .. ومقالة واحدة فيها قد تثير موهبة ، وقد تبعث اطلاعاً ، وقد تساعد على اتجاه .. وهي بهذا المعنى مسؤولة لا عن الحياة الادبية فحسب بل عن الحياة العلمية .. عن اشاعة روح العلم والاقبال عليه والايمان به كعنصر من عناصر الحياة .. مسؤولة عن ايقاظ المنطق العلمي في مناقشاتنا وافكارنا .. مسؤولة عن تصحيح مناهجنا واقامة مفاهيمنا .. وذلك كله لن يتأتى عن طريق المقالة او القصة او الشعر فحسب ، ولكنه في حاجة الى قدرٍ مثل ذلك من العلم وانبائه ، وكشوفه وارتياداته ، والآفاق البعيدة التي يضرب فيها والخير الكثير الذي يعود على

الوظيفة دون ان يشعر ، عندما يعيننا على فهم الحياة والأنسان ، وعندما يضطلع بتفسير الغوامض وجلاء المعميات ، وبذلك يوسع تجاربنا ، ويشق لنا سبلاً جديدة ، وبذلك تتوالد حياتنا ، وتتضاعف لحظات الأشراق والاستمتاع فيها .

اذا وقفنا من هذه الاسئلة جميعاً ، موقفا انسانياً عادلاً ، وقسمنا الادباء الى مبدعين ، وباحثين ، استطعنا ان نقول ، مجيبين على هذا السؤال ، إن الادب الإبداعي ، لا يفرض على الأديب شيئاً ، غير عمق الاحساس وصدق التعبير . والأديب يؤدي رسالته كاملة اذا إستطاع أن يفهم الحياة فهماً صحيحا ، وأن يتمثلها تمثلاً واعياً ، وأن يعبر عن تجاربه ، اثناء عمليتي الفهم والتمثل ، بامانة وإخلاص .

اما الكاتب الباحث ، ومجاله البحث الطويل ، والمقالة ، فيختلف عن الأديب المبدع في طريقة التعبير ، عن احساسه وتجاربه ، وان اشتركا في تجشم التجارب وتمثلها . إذ عليه أن يسوق اختباراته في اسلوب واضح جلي ، لا يخلو من التوجيه الصريح والوعظ الواضح ، وبهذا يؤدي وظيفته الاجتماعية ، كما نفهمها في استعمالنا الشائع اليوم .

ثم نعود إلى شيوخ أدبنا الحديث ، فنقول ، انهم حاولوا ، مبدعين ، أن يعبروا عن تجاربهم التي انتزعوها من واقع حياتهم ، ووفق اكثرهم ، بقدر ما أعانته الموهبة ، وهذا حسبهم . وفي أدب البحث ، ورجاله من الشيوخ كثر ، نجد ان الأغراض الاجتماعية واضحة بينة ، قوية في أكثر الأحيان ، وهم في ذلك ، يتناولون وجوها مختلفة من المجتمع ، ويصورونها وقد يتخلف بعضهم عن الركب ، وقد يسبق البعض الآخر ، الا انهم في كل ذلك صادقون مع أنفسهم ، مخلصون لمجتمعهم . فمجتمعنا اليوم ، مجتمع غير موحد ، ولا منسجم ، وفيه جوانب متعددة ، والوان متباينة ، تعرض لها ادباء البحث ، كل من زاويته الخاصة ، التي تحددها له تجاربه واختباراته الخاصة .

ثم نستدرك ونقول ، هل هنالك في مجالي الابداع والبحث أدب خير من أدب الشيوخ الأعلام ؟ قد لا أكون مخطئا إذا قلت : نعم : فنحن على أبواب نهضة أدبية شاملة ، يضطلع بها الأدباء الشبان ، ولكن المسرح لايزال مشغولاً بالممثلين القدامى . وهم يقدمون ، آخر ما يقدمون ، للممثلين الشبان ، دروساً مفيدة ومواعظ قيمة . والشبان ذوو مواهب وطاقات ، والشيوخ ذوو حكمة وتجارب ، وبتوفر الموهبة وإحاطة الحكمة لها ، وحدها عليها سنبلغ في أدبنا شأواً بعيداً .

أصحابه معه .

إننا نواجه الدنيا على فترة من الحياة اليقظة .. ومن أجل ذلك تزدحم دروبنا بالأعباء ، ولم نَؤُلْ بعد الى شيء من التخصص في حياة مجلاتنا الرزينة .. ولهذا أحب ان ألقي على عاتق مجلاتنا الادبية هذا الواجب الجديد .. وما أدري ما هو رأي المشرفين على هذه المجلة والمجلات الاخرى .. ولكني أعرف في هذه السلسلة من المقالات التي تنشر عن ادب الالتزام ان هناك إيماناً عميقاً بمهمة الأدب ، لا في نطاق الحياة الشعورية فحسب بل في نطاق الفكر اليقظ ايضاً .. وهل شيء آخر أدعى الى يقظة الفكر من هذه الاثارات العلمية التي تحفل بها الحياة الحاضرة في المجتمعات الكبرى .

من أجل هذا نريد المقالة العلمية والنبأ العلمي . ونعيذ المجلات الأدبية ان تلجأ الى ذلك على انه سبيل للتنويع والتلوين وزخرفة البضاعة التي تقدم الى القارىء ، فليس هذا بشيء ، وانما نريد ذلك جزءاً اساسياً صلباً في مقومات العمل الأدبي الذي يريد النهضة بالفكر العربي والنفس العربية .

فاذا كنا مع مجلة الآداب على صعيد واحد من الايمان بذلك ، كان لنا ان نضيف الى المجلة باباً جديداً يولي الحياة العلمية اهتمامه تعريفاً بها وكشفاً عن جديدها وصلة بين القارىء العربي وبين كل آفاق المعرفة . ومن المؤكد ان مثل هذا الباب ، حين تتخذ له أساليبه المبسطة واهدافه المشوقة ، ستكون له آثاره العميقة ، وهي آثار تلتقي مع رسالة الأدب بل تكاد تكون جزءاً منه من حيث هو إثارة وتوجيه وتسامٍ وتفتيح آفاق في الأنفس والأكوان على حد سواء .

***

وبعد فهذا حديث عن المجلة في هذا العدد الرابع لعل هيئة التحرير اولى به .. فلنعد الى التفاصيل .

— ١ —

ان الاستاذ انور المعداوي يبدو دائماً ضعيف الثقة بقرائه قدر ما هو شديد الثقة بنفسه .. والذين يعرفون الاستاذ المعداوي عن بعد يعجبون به والذين يعرفونه عن قرب يزدادون به إعجاباً .. انه يعيش « الرأي » الذي يفكر به بكل كيانه ، يملأ نفسه واحاديثه ، ومجلسه وسمره ، وسبحاته وتأملاته ... حتى إذا جاء يكتب ، كتب كل شيء واندفع في كل ركن .. وانتقل بك من الموضوع الذي يحدثك عنه الى تاريخ هذا الموضوع وإلى مستقبله كذلك .. ثم لا يكتفي ولكنه يحدثك عما حول الموضوع .. فما أكثر ما يجب ان يؤكد آراءه في الفن ، وجوهر هذا الفن ، وكيف يجب أن يكون ، والشرائط التي لا بد له منها ... عن الوجود الداخلي والخارجي ، عن الكون والنفس ، عن العقل والشعور ، عن اللقطة العقلية واللقطة النفسية .. إن صديقنا المعداوي لا يزال يصرّ على هذا الذي بدأه منذ بدأ أحاديثه الشيقة الممتعة في « الرسالة » حتى اليوم ... وهو محق في ذلك لأنه يرى إنه يؤصّل لهذه المفاهيم الأدبية التي يعتنقها والتي يدعو اليها في حماسة الخطيب واندفاعة المؤمن وطريقة المدرّس .. ولولا اننا نعرف الاستاذ المعداوي لقلنا انه يعاني التدريس .. ولكن بين المعداوي وبين التدريس من المدى البعيد ما كرّه اليه حتى ان يجلس إلى الاساتذة ، لأنه آثر ان يجلس لنفسه وإلى توقده وإلى مطالعاته .

وأحسب ان الرأي في أنوثة ميّ لا يزال في حاجة إلى كثير .. إن منطق الكاتب واندفاعه لم يكن لهما القدرة على أن ينساقا بنا هذا الانسياق البعيد .. ويبدو لي ان هذا الموضوع حريّ ان يُتناول تناولاً آخر بعد تناول الاستاذ المعداوي ، إن تتناوله إحدى الدارسات والباحثات من جنس ميّ ... فلعلّ الأنثى ان تكون أقدر على فهم الانثى واستبطاناً لعالمها المزهق .

ولست أحب ، سلفاً ، أن أخوض نقاشاً مع الاستاذ انور على شوقي لكل إخواننا في مصر ، في هذا الموضوع .. ولا أحسب ان القراء يحبون ذلك .. اننا في حاجة الى يد اخرى تقلب الموضوع وتتفحصه .. وقد تتصافح هذه اليد في نتائجها مع يد صديقنا وقد تهدي اليه وإلى القراء جديداً .

— ٢ —

والاستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري ، هذا الباحث المتأني ، جدير ان يتلقى إعجاب قرائه وتحيات إخوانه الذين يلتقون معه على الايمان بقوميتهم العربية .. إن ثقافته التاريخية العميقة ، ونظرته البصيرة المتأملة ، ونفسيته المرهفة ، كل اولئك يلقي عليه عبئاً كبيراً في نطاق هذه الحياة القومية .. ولن تغني هذه الجزئيات — على الحرص الذي يبدو في الربط بينها — عن اعفائه من عمل أكمل وأتم في هذا الموضوع .. إن النقلة التي تعانيها البلاد العربية من الماضي إلى المستقبل لا بد فيها من عمل هؤلاء الذين عرفوا الماضي وأدركوا الحاضر واستشرفوا المستقبل ، ولا بدّ

رباعيات جديدة

ما اضعف الارشادَ كلٌّ عتاده كلماتُ وعظٍ لا تصيب مثالا
فاذا أردتَ الماكرين على الهدى فانصحْ، ولكن لا تكن محتالا
لم يحفظ التاريخُ قولةَ مصلح حتى تأكد صدقَها أفعالا
هيهات يقنعني وان يك بيّناً ما قيل الا ان ارى من قالا

تذمّرَ من صرف الزمان تحدراً الى ما يلاقي من عوارض نحسه
وكيف يصيب الرغد والسعد حاسد تتيه به البغضاءُ في قفر يأسه
يريد من الناس السخاء تبرعاً باموالهم وهو الضنين بفلسه
اخفُّ العمى ان لا يرى المرء غيره واصعبه ان لا يرى غيرَ نفسه

حمّلت قلبك ما في الحقد من نصب فبات عقلكَ بالظلماء مشتملا
وعشت وحدك في دنيا مهدمةٍ تكابد الغمّ والحرمان والفشلا
الذنب ذنبك فانظر ـ فالحياة لها وجهٌ جميل ـ ووجه يبعث الوجلا
والناس انت تراهم، حين تبغضهم ابالسا، واذا احببتهم رسلا

جرّدْ سبيل الناس من نكباته تغدُ الحياةُ من الفتور جهنما
ولربما رام الزمان لك الاذى فقضى عليك بان تعيش منعما
ومتى رمتك الحادثاتُ عبوسةً بنبالها، فاضحكْ لها متهكما
ما في بكائك ان فرحتَ بطولة ان البطولة ان تضام وتبسما

خاب الرجا فيكم وكان شبابكم املَ البلاد تحوطه الدعواتُ
يا ذائبين من الميوعة انكم في دربها نحو العلى عقبات
ايامكم تحت الفجور يسوقها سوطُ البلى وعتادكم مرآة
يتبختر الطاووس في اثوابكم ونفوسُكم في ذلها حشرات

بونس ايريس **الياس قنصل**

فيها من عملهم جاداً دائباً حتى يستصفوا ويستخلصوا ويبدعوا .

وتلك هي المهمة الكلية التي تطالعنا دائماً وراء اسم الدكتور الدوري واخوانه .

— ٣ —

وأجوبة الاستفتاء عن الشعر المعاصر كانت مجموعة طريفة نظر فيها كل كاتب من نحوٍ ، هو النحو الذي رسب في ذهنه عن هذا الشعر لا النحو الذي أراد الاستفتاء أن يثيره .. وأظن ان القراء جميعاً مشتركون في انهم خرجوا من هذه المشكلة بمشكلات جديدة .. إنهم لم ينتهوا — في اكثر الذي كتب — إلى رأي أو ما يشبه الرأي ، محدد مضبوط .. ولكنهم أضافوا عشرات الاسئلة الاخرى ، وقفز الى ذهنهم هذا الشعر : ماضيه وحاضره ومستقبله ، فنونه وأنواعه المختلفة .

ولعل ذلك عائدٌ الى طبيعة الاستفتاء الذي يقصد إلى الاثارة باكثر مما يقصد الى التحديد والتقييد .

وليس بعد هذا الاستفتاء من سبيل الى الحديث عن الشعر الذي نشر في العدد الرابع .. انه في تلونه وتفرعه واختلافه هو هو في تنوع الاجابات واختلافها .

— ٤ —

ويكتب الاستاذ حسين مروة باب « قرأت العدد الماضي من الآداب » بعد ان يحدّد النظر في العدد الثالث . ولكنه ينظر دائماً من وجه واحد .. ان ملاحظاته الدقيقة ملاحظات حيسوب ماهر يستفيد من فاتحة المجلة ليأخذ بها كتاب المجلة جميعا .. في شيء كثير من العنف ومن الاصرار .. لا يشفع عنده شيء .. لأن الادب عنده لون واحد ، والفكر كما يبدو كذلك فكر واحد .. ان تعليقاته النافذة السريعة تنزع عن قوس معينة لترمي كل الاهداف الأخرى . وفي هذه التعليقات السريعة القصيرة تجد حلول كل المشكلات التي تملأ ذهن الانسان والتي يعالجها ، تجد حلول كل القضايا الانسانية والقومية والفنية واللغوية .. انها حدّة الاستاذ مروة وتوثبه .

— ٥ —

ولست اجد مجالاً للحديث عن القصص .. إن قصة الاستاذ شوقي بغدادي تقف على الطرف الآخر من قصة الاستاذ مهدي عيسى الصقر .. والقصتان معاً دفعٌ نحو الثقة بمستقبل القصة العربية في مختلف اتجاهاتها .

ولن أنسى ان اشدّ على يدي الاستاذ عبدالله عبد الدائم في حديثه في فاتحة العدد عن رسالة الادب واثرها في نهضتنا القومية . وقرابة ما بيني وبين الدكتور ادريس تمنعني من الثناء على بحثه القيم عن القصة العراقية ، هذا البحث الذي يقوم على جهد وتتبع بعيدين .

دمشق **شكري فيصل**